فلسطين . . . !

للأستاذ عمر الدسوقي

جهاد مجيد

لبيك يا فلسطين لبيك !

إن ما سطرته في سفر الجهاد والبطولة ، وما ضربته من المُثُل الرائعة الجليلة ، منذ حلت بك المحنة ، ووفد عليك البلاء كان شآبيب الرحمة والغفران على أجداث آبائك الصِّيد الذين شادوا الدولة العربية قديماً ؛ وسيظل رمزاً نبيلاً لأبناء العروبة يثير حميتهم إذا ونت ، ويشحذ عزائمهم إذا فترت . فقد أبيت الضيم في شمم وكبرياء ، ونهضت تذودين عن الحق المهضوم بقلب باسل ذخر بمعاف الجنف والاستخذاء ، وكلما ظن الدخيل أنها جذوة نار عما قريب تخمد زادتها حرارة إيمانك ضراماً فبذلت النفوس بذل السماح ، فمن مات كان للوطن ضحية وقرباناً ، ومن عاش كان للشرف نموذجاً وعنواناً . لقد هزم صبرك المال وسطوته ، وقهر إيمانك الجيش وعدته . وقفتِ وحدك رَدَحاً من الزمن تذودين عن الحمى ، وتصونين العروبة ، حتى عرف أبناء التاميز صدق جهادك وفقهوا كنه قضيتك ، فأصدروا كتابهم الأبيض ، وبه إقرار لبعض حقك على أن يكون لبنيك الغلبة في ديارهم ، حكومة وعدداً ، وأن تقف الهجرة الصهيونية في عامنا هذا

ثم انفجر مِسْعَر الحرب ولف أوارها العالم في رَبْطته ، وأبينا إلا أن نقف مع خصومنا بالأمس موقفاً يمثل نفسيتنا العربية الكريمة فبسطنا لهم أكف الصداقة في إخلاص لا تشوبه مداجاة أو رياء ؛ لعلمنا أنهم يدافعون عن الحريات المسلوبة ، ويقفون في وجه الجبروت والبغي ، وعنجهية العنصر ، والسيطرة الفردية ؛ بل وبذلنا في سبيل نصرتهم كل ما قدرنا عليه ، لم ندخر وسعاً ، ونالُ جهداً ، ولم نكن يوماً على ذلك بآسفين .

دعوى اليهود

لطلحة أو الزبير ورغبتها في تقديم المسلمين إياها وهي قادرة على تعزيز ذلك بكلام تعزوه إلى زوجها العظيم ويصدقه الأصدقاء والخصوم !

فإيمانها بالقرآن وبالأحاديث النبوية وتقديسها لحرمة تلك الأحاديث هو الدليل القاطع على براءتها من التهمة التي افتريت عليها . إذ هي لو كانت قد أخطأت وبرأها القرآن لكان إيمانها بالقرآن والأحاديث من المستحيلات ، واستحالة الإيمان هنا حقيقة مقررة يقبلها عقل المسلم ، ويقبلها عقل المسيحي ، ويقبلها عقل الملحد الذي لا يدين بدين

ومن ثم يخطئ الأستاذ المسلم ـ الشيخ محمد يوسف موسى ـ إذ يقول : « إن استدلال أن صدقه من يرى لأم المؤمنين النزاهة والجلالة من أجل دينه فحسب فقد لا يصدق به من لم يكن كذلك »

لأن التصديق هنا قضية عقلية لا فكاك منها ... هل يقوم الدليل القاطع عند عائشة على أن القرآن برأها من ذنب جاءت به ثم تظل على إيمانها بالقرآن ؟

الجواب هنا من المسلمين وغير المسلمين : كلا . بل هو مستحيل ، وهذا هو الذي قصدنا إليه

وعلى ذكر الأستاذ المسلم ـ الشيخ محمد يوسف موسى ـ نرى من الواجب أن نعقب على كلامه ببعض التعليق المفيد

فهو يقول في كلمته « إني لم أتشرف بعد بصداقة الأستاذين، ولكني أعرف لكل منها حقه من التقدير »

فإن فهم أحد من هذه الكلمة أن الشيخ محمد يوسف لا يعرفنا ولا علاقة له بنا فذلك فهم يحتاج إلى تصحيح

وتصحيحه أن الشيخ قد عرفنا ولقينا وأهدى إلينا كتاباً في تاريخ الأخلاق وسألنا أن نكتب عنه وعاد إلى هذا الرجاء بوساطة من أصدقائنا ، فاعتذرنا إليه آسفين لأن وقت القراءة عندنا محدود في هذه الأيام

ولا شك أن هذا التصحيح تعقيب مفيد على ما قال أو على ما يفهمه من كلامه بعض القارئين .

عباس محمود العقاد

أهلها منذ أربعة عشر قرناً بدعوى أنهم كانوا يقيمون بها قبل أن نضرب عليهم الذلة والمسكنة ويشردوا فى الآفاق ؛ مع أن دولتهم بها لم تزد عن قرنين !

وما ذنب العرب فى أن اليهود لا يجدون لهم وطناً يأوون إليه ؟ ولماذا تحل قضيتهم على حساب العرب وهم آمنون وادعون فى ديارهم التى نزحوا إليها فى الجاهلية ، وفتحها أسلافهم بحد السيف وطردوا منها الرومان فى الإسلام ؟

إن الذنب فى الواقع ذنب اليهود فهم لم يندمجوا يوماً ما فى الشعوب التى نزحوا إلى ديارها ، ولم يشاركوهم فى السراء والضراء ، بل ظلوا بمنأى عن ميادين الجهاد والتضحية ، وجل همهم ادخار الثروات والنفوذ ؛ وهـذا ما بغضهم إلى كثير من الأمم فاضطهدوا فى حقب التاريخ المتتابعة . ولو أخلصوا الأوطانهم التى أقاموا بها واتخذوا اليهودية شعاراً دينياً فحسب ما أساء إليهم أحد

سألت كثيراً من اليهود بانجلترا : هل يفضلون الهجرة لفلسطين على أن يسلبوا الجنسية الإنجليزية أو يؤثرون حالتهم الراهنة ؟ فكان جوابهم جميعاً : إنهم لا يرضون بغير انجلترا بديلاً . فإذا سألتهم : لماذا إذاً تعاضدون فكرة الوطن القومى ؟ أجابوا : « حتى إذا أسىء لنا هنا وجدنا بلداً نأوى إليه » . فإذا جادلتهم : إما أن تكونوا إنجليز وإما أن تكونوا يهوداً ؛ لأن الإنجليزى إذا أسىء إليه فى بلده لا ينفصل من جنسيته ولا يرحل عنها ، أرتج عليهم ولم يجدوا جواباً

إن دعوى اليهود فى فلسطين لا يبررها التاريخ ، ولا يؤيدها الواقع ولا يناصرها العدل ؛ وأولى لهم — إذا كانوا حقاً ينفرون من الاضطهاد أن يكونوا مواطنين أوفياء للشعوب التى آثروا الإقامة بينها ، يبذلون من أموالهم وأنفسهم وذكائهم وتجاربهم فى سبيل رفاهيتها وسعادتها ، ولا يبتغون من وراء ذلك مادة أو جاها شأن الوطنيين المضحين المخلصين ، وحينذاك لا يجدون من يجرؤ على قذفهم بالخيانة والجشع ، أو من يحاول التحريض عليهم وإرهابهم

وإن لم يكن فى قدرتهم التغلب على طبيعتهم التى زادتها القرون تمكناً والضرب فى الآفاق إرهاقاً ، فالأجدر بهم أن يبحثوا عن بقعة أخرى من الأرض تضم شتاتهم ، وهم نيف وستة عشر مليوناً فى أرجاء المعمورة المتباينة . ولعل هؤلاء الذين يعطفون عليهم ويؤيدون طلبتهم فى إنشاء وطن قومي ، وفى طليعتهم « المرشال سمطس » ، وبعض شيوخ الولايات المتحدة يكونون صادقين فى حدبهم عليهم ورفقهم بهم فيقطعونهم منفسحاً من الأرض فى الدنيا الجديدة أو جنوب أفريقيا ، ويتركون فلسطين الصغيرة الوادعة الغاصة بأهلها الذين لا يريدون التخلى عنها أو يفنوا عن آخرهم

على أن فلسطين لن تحل المشكلة اليهودية فهي أضيق من أن تتسع لهم جميعاً مهما بالغوا فى مقدرة المدن الصناعية على استيعاب السكان . وأين يذهب العرب ؟ ولم يتركون أوطانهم وبيوتهم لغيرهم ؟ ولم يصيرون أقلية مستضعفة فى ظل دولة يهودية غريبة معتدية لها الأكثرية والحكم بعد أن كانوا هم أهل البلاد وأصحاب ثروتها منذ الفتح الإسلامى ؟

ثم إن هذه الدولة الصناعية ليست خطراً على فلسطين فحسب ولكنها ستكون نكبة على الشرق العربى كله ؛ لما لليهود فى العالم من رءوس أموال ضخمة وخبرة فنية وصناعية واسعة ستجعل من الشرق العربى سوقاً لسلعهم ، وتميت فيه الصناعات الناشئة ، ولن يكون أهله إلا أجراء أو مستهلكين ، والثمرة والمال لليهود المستغلين

ومن حجج اليهود الواهية المتداعية التى يخدعون بها بعض الساسة فى أوربا ادعاؤهم إنعاش فلسطين اقتصادياً منذ ابتدءوا يتوجهون إليها ، وأن أجور العمال من العرب قد ارتفعت ، ومستوى الحياة قد ارتقى ، وكثيراً من الأرض اليباب القحلة قد

أصلح ، وكانت فلسطين قبلهم معدمة تغص بالمستنقعات وبمآسى أهلها الجهل والفقر والنبن

على أن هذه الحجة غير صحيحة ؛ فلم يفد العرب شيئاً من أموال اليهود ونشاطهم وهم دوماً يؤثرون العمال من بنى جنسهم ويجعلون مدنهم ومستعمراتهم ، ولا يتبادلون السلع مع العرب بل لا يشترون شيئاً منهم ، واستولوا على كثير من الوديان الخصبة المزروعة ، ولو كان ادعاؤهم هذا صحيحاً فالعرب يرفضون مدنيتهم ورفاهيتهم وأموالهم وصناعاتهم على أن تبقى لهم حريتهم الغالية ، ورحم الله عنترة حين قال :

لا تسقنى ماء الحيـاة بذلة بل فاسقنى بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أكرم منزل

إن صلة اليهود بفلسطين صـلة دينية فقط ، وأما طمعهم فى جعلها وطناً قومياً يضم دولة يهودية فيجب ألا يفكروا فيهـا ، لأن فلسطين جزء من الوطن العربى الكبير ، ووجود دولة غريبة بجنسها ودينها ومشخصات قوميتها وسط هـذا الوطن خطر كبير عليه ، ومدعاة للشغب والاضطراب والفتن الدائمة ؛ ولن يرضى العرب بذلك أبداً .

ثم إن فلسطين عزيزة على العرب من مسلمين ومسيحيين ، ولهم فيها ذكريات غاليات ، وحرمات مقدسة ، بل إن المسلمين جميعاً فى كل صقع من الأرض يقدسونها ويعظمونها ، ولن تطيب لهم نفس أو يهدأ لهم بال إن غلب عليها اليهود

الوعى العربى

نحمدك اللهم على أن أفقنا أخيراً من سباتنا العميق ، وأخذنا نتآلف ونتآزر ، ونتشارك فى السراء والضراء بعد أن فرقتنا أيدى المطامع بدداً ، وبعد أن بحت أصوات المخلصين للوحدة العربية .

إننا نيف وخمسون مليوناً من الأنفس فى بقاع متصلة من خير الأرض وأمرعها وأغناها وأحسنها موقعاً ، تربطنا أواصر محكمة من اللغة والتـاريخ والعادات والدم والدين والآمال والآلام ؛ وإذا لم تـكن هذه الأواصر كفيلة بتكوين أمة متحدة متماسكة اقتصادياً وعلمياً وحربياً وسياسياً ، فلست أدرى أى شىء يكوّن هذه الأمة !!

كانت قضية لبنان اختباراً لمبلغ الوعى القومى عند الشعوب العربية ، والخروج من ميدان الـكلام والإعداد إلى ميدان العمل والجهاد ، بيد أن قضية لبنان لم تـكن من التعقيد مثل قضية فلسطين . وهنا ، سيتجلى إخلاصنا للقضية العربية ، ومبلغ صدقنا فى الجهاد وثباتنا أمام الصعاب ، وقدرتنا على تذليلها وتعبيدها . فإن وقفنا أمة واحدة تنطق بلسان واحد وكلمة واحدة لا تتغير ، ولا تفتر لنا عزيمة ، أو تلين لنا قناة فسنتصر ونخرج ظافرين من الاختبار بحول الله . وهى خطوة لها ما بعدها ، إن نجحت كانت حجر الزاوية فى بناء الصرح العربى المرموق

ولا يسعنا إلا أن نسجل بالحمد والشكر والفخر والتأييد موقف الحـكومات العربية ، وفى طليعتها الحـكومة المصرية على احتجاجها الصارخ على معاضدة بعض الشيوخ الأمريكيين لقضية اليهود فى فلسطين . وبقيننا أنهم أيقاظ للأحداث الدولية المنتظرة ، وأنهم سيجعلون نصب أعينهم ، وضمن برامجهم السياسية إنقاذ فلسطين من اليهود واستخلاصها للعرب ، واستنجاز انجلترا ما وعدت به فى الكتاب الأبيض ، وأنهم لن يلينوا أمام الضغط والدعاية اليهودية ، وأنهم والحمد لله عامرة قلوبهم بالإيمان والإخلاص والوطنية

إن فى هذه الحرب عظات ودروساً يجب أن نتلقفها ونفيد منها ، فأقوى الأمم وأمنعها حوزة وأغناها مالاً وأكثرها رجالاً ، وأبرعها سياسة لم تخض غمار هذه الحرب بل اتخذت لها درءاً ونصيراً من الأمم التى تتفق معها فى المشرب والمبدأ والأطماع وإن أمماً صغيرة كثيرة قد ابتلعت وتقوضت عروشها . وإن كل الأمم ينشد الحليف والمؤازر فى هذه الحرب القاسية ؛ ونحن